PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(11): 1546-1560
ISSN: 1553-6939

The Algerian cultural heritage in Na'ili folk poetry -an approach to aesthetic and historical values-

Dr. BENZAHIA Abdallah [1*]

[1:] Morsli Abdullah Tipaza University Center, Laboratory of cultural and educational practices in Algeria. Algeria.
benzahia.abdallah@cu-tipaza.dz

Received:20 /08/2024, Published: 21/11/2024

ABSTRACT:

Folk poetry has deep roots in Arab culture in general and Algerian culture in particular, and thus it was a mirror that depicted a large part of the cultural heritage that distinguishes society, thus reflecting the depth of its authenticity and the breadth of its culture. It also showed the strength of the ties that exist between its individuals, as it depicted the nature of relationships, the way of life, and the cultural heritage of customs and traditions, and was preoccupied with a large part of historical exploits and heroism.

This study came to shed light on the importance of popular poetic discourse - specifically Na'ili - and to reveal the social and historical values that poets included in their poems, trying to answer several problems, including: What is the effect of the social environment on the construction of the popular poem? What are the social values that were manifested in it? How did popular poetry contribute to documenting the history of society (the throne) and its customs and traditions?

Keywords:

Folk poetry; social values; culture; heritage; identity; history.

التراث الثقافي الجزائري في الشعر الشعبي النائلي

– مقاربة في القيم الجمالية والتاريخية–

د. بن زهية عبد الله [1*]

[1] المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة، مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية التعلمية في الجزائر، الجزائر، benzahia.abdallah@cu-tipaza.dz

الملخص:

للشعر الشعبي جذور متأصلة في الثقافة العربية عموما والجزائرية بشكل خاص، فكان بذلك مرآة صورت جانبا كبيرا من التراث الثقافي الذي يميز المجتمع، فعكس بذلك عمق أصالته واتساع ثقافته، كما أنه بيّن قوّة الروابط الموجودة بين أفراده حيث صور طبيعة العلاقات، وطريقة العيش في الحياة، والإرث الثقافي من العادات والتقاليد، وانشغل بجانب كبير من مآثر التاريخ والبطولات.

جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أهمية الخطاب الشعري الشعبي –النائلي على وجه التحديد– وكشف القيم الاجتماعي والتاريخية التي ضمنها الشعراء في قصائدهم محاولة الإجابة على عدّة إشكاليات من بينها: ما أثر البيئة الاجتماعية في بناء القصيدة الشعبية؟ ماهي القيم الاجتماعية التي تجلت فيها؟ كيف ساهم الشعر الشعبي في تدوين تاريخ المجتمع (العرش) وعاداته و تقاليده؟

الكلمات المفتاحية:

الشعر الشعبي، القيم الاجتماعية، الثقافة، التراث، الهوية، التاريخ.

مقدمة:

الشعر الشعبي هو ذلك الكلام الذي يتغنى به الناس، فهو سجل شفهي لماضيهم وتاريخهم وعاداتهم تقاليديهم فهو يعكس شخصيتهم الروحية والثقافية والفنية ويعكس بنيتهم الاجتماعية، كما يصور همومهم ومشاكلهم وتناقضاتهم، ويتعامل مع جميع مظاهر الحياة بوصف تلك الصور الرائعة للمجتمع، والمناظر الجميلة للبيئة والقيم والأخلاق في المجتمعات، مما يساهم في الكشف عن نظام المجتمع الحي ، كما أنه وهذا ما جعله يحمل تجارب شخصية في بعض الأحيان ، وتجارب جماعية في كثير منها.

تتضمن علاقة الشاعر بالمجتمع وعيه بما يدور حوله وكشف ما ينتمي لمجتمعه وهذا ما يجعل الشعر مادة تسجل كل القيم المادية والأخلاقية، يحمل في طيّاته تلك القيم مترجما نفسية وسلوكات المجتمع، وحاملا آماله وهمومه وتطلعاته، من هذا المنطلق ارتأينا في هذا البحث دراسة نموذج من بين النماذج الشعرية، وهو الشعر الشعبي النايلي (منطقة أولاد نايل) لما يحمله من خصائص وميزات جعلت منه نصّا جديراً بالقراءة والتحليل فكان بذلك نموذجا ثريا يعكس ثراء المجتمع بعاداته وتقاليده وذلك عن طريق قراءة وتحليل نصوص مختارة ومحاولة تفكيك بنية الخطاب داخلها واستنطاق أهم القيم التي تحملها.

ويصنف عرش أولاد نايل من بين أكبر الأعراش في الجزائر، فأصوله ممتدة كما ورد في كتب التاريخ[1] التي تحدثت عن سيرة أولاد نايل بداية من الجدّ الأول (علي بن أبي طالب وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم) وصولا إلى ذرية سيدي نايل (**زكـــريا، عيـــسى أبـــي الليث، املـيك** و **يـحـي**) أنجال سيدي (**محمد نايـل**)، ومن أتى بعدهم من نسبهم ممن يطلق عليهم جميعا لقب العرش (**أولاد سيدي نايل**) نسبة لأبيهم سيدي محمد نايل بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة (623هـ)، بن سيدي مشيش بن أبي بكر بن علي بن محمد حُرمهْ بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس/المغرب) بن ادريس الأصغر(دفين فاس/المغرب) بن ادريس الأكبر(دفين زرهون 177هـ)، بن عبد الله الكامل (دفين بغداد /العراق 144هـ)، بن الحسن المثنى بن الحسن السبط(دفين البقيع)، بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم.

كانت بداية حضور عرش أبناء سيدي نائل الأولى في منطقة الحضنة حيث نشأ جدهم الأول (سيدي محمد نايل) حيث يتواجد ضريحه، وبزيادة العدد توسع مكان تواجدهم ليشمل العديد من الولايات الجزائرية (المسيلة بسكرة، تقرت، الجلفة المدية، البرواقية، تيارت، الأغواط، جامعة، المغير، ورقلة، جرجرة، البويرة والعاصمة) وقد تحققت فيهم مقولة (سيدي عيسى الشريف بن محمد) حيث قال: « من العطف إلى أن تعطف لا يبيت قاصدهم خلاء. »[2] وقد تحدث عنهم الشيخ عبد الرحمان الديسي في كتابه تحفة الأفضال حيث قال: «فيهم من الأولياء، والعلماء، والأبطال، والأجواد مالا

يحصى كثرة مما هو ذائع ومستفيض عند من يعرف أخبار الماضين، إلاّ أن أهل بلادنا مهملون للتاريخ، وتخليد الاثار، وتقييد التراجم والسِيَر، فلو وجد في الماضي من يعتني بضبط المآثر وتدوينها، لأخرج من أخبار كل طبقة منهم شيئا كثيرا يفوت هذا الحصر. "[3]

1-***القصيدة الشعبية في منطقة أولاد نايل:***

تعتبر القيم الإنسانية هي الموضوعات الرئيسية التي يتناولها الشاعر في القصيدة الشعبية ، فالشعر الشعبي مثله مثل أشكال التعبير الأخرى، هو نتيجة الاندماج في البيئة والقرب من أفراد المجتمع ، لذلك يتأثر الشاعر ويتفاعل مع محيطه ومجتمعه، فيفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم ويتفاعل مع آمالهم وتطلعات ، كما يحاول معالجة مشاكلهم ويعيش التطورات معهم ، فيكون في كل الأحوال مخلداً بحروفه وقصائده الآثار والذكرى، حيث تحمل القصيدة الشعبية النائلية مخزونا ضخما من الرموز والدلالات الروحية والإيحائية، فهي تشكل تلك الصلة الثقافية التي توحد أفراد المجتمع من خلال تعبير موحد عن مشاعرهم، وفلسفاتهم في معالجة مشاكل الحياة ، وبذلك تحمل همومهم وتجاربهم فيها، وهذا هو السبب في إلهام الشعراء لشخصيتهم الحيّة في الحياة لخلق مزيج ثقافي يتجلى في أبيات هذه القصيدة، " فالنص كائن لغوي يشهد على وجود التراث فيه."[4].

ومن خلال متن القصيدة الشعبية تتنقل عدة خصائص ثقافية وحضارية تعكس العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، وتصور تلك العلاقة الحميمة التي تجمع أفراده، حيث يسود جو من الألفة والفرح والأنس والمودة بين أفراد العائلة الواحدة وبين أفراد المجتمع الواحد(العرش). يقول سعيد يقطين : "عندما نفكر في أنفسنا، نفكر في تراثنا وتاريخنا الثقافي والثقافي ، كما نقرأ مستقبلنا ، وكما نفهم أنفسنا نفهم الآخر من حولنا."[5]

لقد ارتبط الشعر بمنطقة أولاد نايل في الماضي والحاضر، فكانت المنطقة وما زالت مكانا للشعر و الشعراء فلا تخلو خيمة و لا بيت ولا قرية ولا مدينة ولا حي من شاعر شعبي إلى اليوم، وهناك من يقول الشعر ارتجالا فنجد الكثير من الشعراء الذين برزوا قديما وحديثا، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر (الشيخ السماتي، عبد القادر بن النوي، أحمد بلعكف، بولرباح المسعدي، بن عيسى الهدّار، سي معمر بن الشيخ ويسمى الخوني معمّر، بلخيري المحفوظ، لمباركي بلحاج، لمبارك قديره ...) وغيرهم كثير ممن قالوا الشعر وأتقنوا صناعته، راسمين بذلك أجمل الصور للمجتمع النائلي ومخلدين تاريخه ومآثره وعاداته وتقاليده على صفاحات قصائدهم، في هذا السياق نجد الشاعر مباركي بلحاج[6] ينشد الشعر الشعبي متفاخراً:

باسمك ربي خالقي نبدأ ننظم * كلمة سهلى نكمل مبداها**

فالجلـــفة وأولاد نايــل نتكلم * سلسلة الأشراف يسعد من جاها**

أهل الهمة و النيف ولمعاد الكرم * وأهل الدين أصلاتهم في وقتاها**

فرسان البارود ما فيهمش الذم * بيت الضيف أمفرشة يا مبهاها**

البيت الحمراء جات في الصحراء مرسم * وعنها يسأل ضيف ربي وين راها.**

ونجد أيضا الشاعر بلخيري محفوظ[7] يقول:

يامن جيت تسالني نعطيك اخبار* نحكيلك على العرش نوريك أوصافو**

من بكري معلوم فيه ابطال اخيار * ذوادا على الحوض واحد ما حافو**

لقد اشتهرت منطقة أولا نايل بالكثير من الشعراء الذي أجادوا الكلمة في نظم الشعر واستطاعوا رسم وتوثيق الكثير من الملامح و الأحداث، وكذا التعبير عن حالات النفس المتعددة من مشاعر و عواطف وبعث للقيم والأخلاق، ونقد للواقع بمختلف جوانبه ونجد في قصيدة قالها أحد الشعراء[8] يذكر فيها مكانة الشعر في منطقة أولاد نايل مبرزا من خلالها فحول الشعر الذين عرفتهم المنطقة وما تميزوا به من مواضيع ليأتي على ذكر مآثرهم فيقول:

يا صديقي كاش ما دبرت أبيات * نحكيلك كلمات راهم في بالي**

نحكيلك عن قصتي كيفاه إبدات * نشرحلك كيفاه جرحي نبالي[9]**

ساهر طول الليل ما نرقد هيهات * ويعذرني من راه حالو كحالي**

ما نقبل زهو الليالي والقصرات * ما نقبل قصرة مع عوز الوالي**

يعجبني تقصير الرجال الدهات * كل آخر قصيدتو يرويهالي**

ابن النوي نالها جاب الشيعات * متأدب ميجود ديمة لأمثالي**

والشعراء شعرهم بيه اتبدات * يهبط ليهم ساكن القصر العالي**

بن كريو مع السماتي من لموات * صيادين الريم في البر الخالي**

مثل اسبوعة متمايزين على لبوات * آخر من لقواط وآخر جلالي**

اعتاد الشعراء بداية قصائدهم بتذكر الأطلال والمناداة على الأحباب، وكذا الفخر بالأنساب والانتماء فيخرجون عند مطلع القصيدة زفراتهم وآهاتهم، وهذا ما جعل الموال النايلي يزيدها رونقا وجمالا ثم ختامها بالصلاة والسلام على النبي صلي الله عليه وسلما تبركا وارتباطاً بالدين، ليلج بعد ذلك إلى أعماقه ينتشي بألفاظه ومعانيه معبرا بها فينسج من ألامه وطموحاته، ويعالج القضايا التي شغلت باله وتفكيره، ليصيغها في قالب شعري جميل يُظهر من خلاله ذلك التمازج بين الحنين والمسؤولية والتعلق بالدين، وهو ما يبين العمق الذي يغوص فيه الشاعر الشعبي بتأملاته وهواجسه، وهذا ما جعل القصيدة الشعبية وثيقة قيّمة، لما تحتويه من موضوعات تناولت

أحداث التاريخ وقضايا المجتمع، والعادات والتقاليد، وكذا الجمال والمرأة ، والخيمة، والخيل والأخلاق والأعراف والدين والزوايا، والضيف والحبيب، والدنيا والموت، فهي رموز تبقى خالدة على حروف القصائد، شاهدة بذلك على شعب عاش حياته بخصوصياته وبساطته.

2-المؤثرات الأساسية في القصيدة الشعبية النايلية:

إن تأثير البيئة، بصفاتها الاجتماعية والطبيعية ، يتجلى في القصيدة الشعرية لمنطقة أولاد النيل، حيث أن العادات والتقاليد والقيم والأعراف المختلفة واضحة للعيان في النصوص الشعرية، مما يدل على مدى تفاعل الشاعر معها ، ومع مظاهر البيئة الطبيعية التي تحيط به، ومن بين المؤثرات الأساسية التي تساهم في بناء وتشكل القصيدة الشعبية:

1.2 البيئة الطبيعية (خصوصية المنطقة):

اعتاد أفراد عرش أولاد نايل العيش في البادية، حيث يعتمدون في معيشتهم على رعي الغنم والإبل وتربيتها والبيع منها، كما اعتمدوا على الحرث و البذر، وعلى النباتات البرية والحشائش التي كانت تنمو قريبا منهم، وكان المشهور من بنيانهم الخيم التي تنصب في البراري أو ما عرف بـ " البيت الحمراء " وهي من بين أهم الرموز التي عرف بها هذا العرش، فالبيت الحمراء تصنع من الصوف والشعر ليوفر الحرارة و التدفئة والوقاية من مياه الأمطار، وكذا الوقاية من حرارة الشمس، وهي عبارة عن قطع قماشية تخاط ببعضها، كل قطعة تسم" الفليج" تتفاوت أطوال القطع القماشية، حيث تنسج مباشرة على الأرض بغرس أوتاد تشد النسيج، يتوسطها قطعتان خشبيتان، وفي إثرها يقول الشاعر الشعبي عطوي عبد القادر[10]:

اتوحشت أولاد نايل ذا الخطـــرة * الله لا تراس[11] نغدى[12] أنا ويـــــــاه**

نسري عل لفجار وانشق البكـرة * نتوكل عن خالقي عظيم الجـــــاه**

البر[13] اللي فيه تطياب العشـــــرة * توحشنا ذوك المراسم[14] ياحســـــراه**

محلاها قعدات في البيت الحمـرا * ذيك القعدة تزيد للخاطر تنـــزاه**

فلجة مرقومين رقبة من ظهـــرة[15] * و الكانون[16] رواق من قبله غطـــــاه**

وطـرايق فوق لعمد زينة نظـــرة * وركيزة بها القنـطاس سكـناه سمكناه**

مشدودة بأوتاد زبوج و سدرة* فيها خالفتين لمن ضيفو جاه**

وعلى صنع البيت نعطيك فكـرة * نوريلك لفليج كيفاه اقلعنـــاه**

من نعجة صوت والمـــعزة شعـــرة * تتـــحزم خودات لشغلها تهـــــواه**

بـدات تسلسل عولت خطفت بكره * لخـره تقدردش طـالبة عونو ورضـاه**

هذي تغزل هذي تقاني تتحذرى * والمغزل مقطـــوع مـن دفلة ممـضـاه**

يعطي الشاعر من خلال هذه القصيدة صورة جميلة عن الحياة البدوية البسيطة التي تمثلها الخيمة بشكلها الجميل الذي يعكس فنيات العمل اليدوي في المجتمع النايلي عموما وعند المرأة النايلية خصوصا فحضورها في بناء هذا الرمز " البيت الحمراء" أساسي، كون المادة الخام هي الشعر والصوف تنسج على يدها، وتطرز على إيقاع فنياتها فالشاعر يصف هذا الصنع بألفاظ منسوجة من المعجم الشعبي، نسجها على منوال نسج الخيمة حتى نهايتها، مبرزا تلك الفنانة التي تغزل وتنسج وتصبغ وتنسق الألوان، متتبعا مراحل بناء الخيمة ومكوناتها، حيث ذكر إلى نهاية قصيدته مكوناتها الأساسية وهي:

– "**الخيمة (البيت)**": عبارة عن قطع من القماش تخاط ببعضها تسمى "**فليج**" حيث ينسج مباشرة على الأرض بغرس أوتاد تشد النسيج تتوسطه قطعتان خشبيتان تسميان "**الصوصيا** "."**الميشع**" بالاستعانة بأداة أخرى للنسيج تسمى "**المدرة**" أو "**الضراب** "

ويتبع البيت الحمراء مجموعة من الملحقات هي:

– **الطريقة:** وهي قطعة النسيج الموجودة عند المدخل الواجهة تخاط على طول الخيمة.

– **الحيال**" : قطعة من النسيج الخفيف "ستار" وتفصل جهة النساء عن جهة الرجال.

– **الركيزة الأساسية:** وهي العمود الأطول يتوسط الخيمة النايلية بحيث ترفعه على شكل هرمي على رأسها.

– **القنطاس:** وهو قطعة مسطحة و دائرية للحفاظ على الخيمة من التمزق.

– **البيبان** : وهما العمودان الوسطيان الأمامي والخلفي.

– **السوابع:** وهي الأعمدة "الركائز" الجانبية.

تفرش البيت من الداخل بأفرشة صوفية تسمى الفراش العمراني، والذي يغلب عليه اللونان الأحمر و الأسود، ويقال أن الأسباب التي جعلت أولاد سيدي نايل يختصون بصبغ بيوتهم باللون الأحمر هي[17]:

* أن **(سيدي أحمد بن يوسف)** شيخ سيدي نايل هو من طلب منه ذلك ليتميز أبناء العرش في زيهم وشعارهم، وحتى لا يختلطوا بغيرهم ويتمكنوا من مساندة بعضهم خاصة وأن أعداءهم كانوا كثر، يقول الشاعر:

إن يحسدوك على فضل خصصت به * فكل منفرد بالفضل محسود**

* **أما السبب الثاني:** فيحتمل أن سبب اختصاص سيدي نايل بحمرة بيته كونه شريف حسني قرشي من مضر ومضر كانت تسمى مضر الحمراء.

إن طريقة العيش وسط البادية المفتوحة جعلت النوايل قريبين من حيواناتهم مرتبطين بها، حيث عُرفوا ككل العرب الساكنين في البادية منذ القديم بفروسيتهم وحبهم للخيل والبطولات و

إثبات النفس أمام الآخر، فالبادية علمتهم شرف الأخلاق، والكرم وعزّة النفس، والصبر على المعيشة، والشجاعة والتعاون، والكرم والجود، والنية الحسنة، وكذا ما يتعلق بأسفارهم و ترحالهم كمعرفته الجهات، وأسماء الأمكنة والطرق والجبال، ومنابع الري والسقاية، حيث تعودوا الترحال المستمر، واعتمدوا الصيد كوسيلة للمتعة والتقوت أيضا، ونجد الشاعر مباركي بلحاج يصف بعض المظاهر من البادية و طريقة عيش أولاد نايل فيها حيث يقول:

احصراه عللخيام اللي حمرا * و يا حصراه على البدو الرحالين**

يا مزين مرحولهم وقت الخطرا * بيه ايطوفو علوطن يسرا ويمين**

والصرعوفه [18] صوتها عندو نـقرا * وصوت الـقصبة زادها تحفه وحنين**

2.2 البيئة الاجتماعية (الثقافة):

1.2.2 اللغة:

بعض المصطلحات المتداولة

تعتبر اللغة هي مادة الشعر والإبداع، ولا غنى لمبدع عنها باعتبارها الظاهرة الأولى في كل عمل فني، فاللغة وسيلة للتعبير، وباب لخروج الأحاسيس والعواطف خارج الصدر ، "وقد حاول الإنسان معرفة العالم لأول مرة يوم أن عرف اللغة، ولم يعرف السحر إلاّ يوم أن أدرك قوة الكلمة لذلك اعتبرت قوة اللغة وسحر البيان من الظواهر المترادفة في حياة النصوص التي تعبر عن القيم الإنسانية."[19]

تغلب على قصائد الشعر الشعبي اللغة العامية **(اللهجة)** المأخوذة من واقع الشاعر وبيئة منشأه واستعمال الألفاظ العامية لتقريب المعنى إلى ذهن السامع، إضافة إلى ذلك أن قائل الشعر يعيش في البادية، فنلاحظ في لغته مؤشرات البداوة ومميزاتها التي لازالت تتجلى حتى في الشعر الشعبي ذو الطابع الحداثي، وهنا يتضح لنا أن لغة هذه النصوص ليست في معزل عن بيئة الشاعر، فهو يتحدث انطلاقا مما مكتسبات لغوية تعوّد على سماعها من أهل باديته منطلقا من محيط ثقافي يستقي منه مفرداته ويوجهها إليه في قالب جمالي يحمل أسلوبه الخاص.

الجدول (01): بعض المفردات جمعناها من المعجم الاصطلاحي المتداول في اللهجة النائلية.

القرعان = القرآن.	**الدبايب:** للقلّة من الغنم.	**خف، فيسع**= أسرع	**بعـــدنا** = ابتعـد عنـا.
الحـــوش = فنـاء المنـزل.	**الجملة:** الاجتماع.	**وعـــــــــلاه** = لمـــــــــاذا؟	**حـــــبَّس** = توقـــف.
العمارة = الكيس.	**بياتك** = أجدادك.	**وش** = مـــــــــــــــــاذا؟	**أحبس** = اهدأ.
لـــريام: النساء الجميلات (مفردها الريم).	**السيمة:** الوصف.	**وشـــــــنهي** = مـــــا هـــــذا؟	**رد بالـــــك** = احـــذر.
إيكفّح أو يدّفق = يَسكُب.	**المطمورة:** المخزن تحت الأرض.	**وينـــــــــــاه** = مـــــــن؟	**أمعول** = أنوي.
النّقو = الحرارة	**شـــــــــرّاد** = قبـــــــيح.	**ايـــــــــــه** = نعـــــــم	**يَسْمَـات** : يتجـاوب، أو يلتزم الصمت.
عجاجة = عاصفة رملية.	**التهوديس:** الأرق و الوسواس.	**ياســـــــــــر** = بكثـــــــرة	**الـلهيـف** : الشـائع هـو الإفراط في طلب المال.
البالطو = المعطف.	**التفيقيح** = التعجرف وزيادة الكلام.	**ياكشـــــفتي** = تقـــال للحســـرة.	**التحكـــاك:** الاســتفزاز والتبلي.
يلاجي = يتألم.	**التورشيق:** كلام المداعبة والتسلية.	**يزقـــد** = كثير الحركة.	**أزقي** = أسقي.
عوز الوالي: قليل الشأن	**اثْمَرقِيدْ** : التماطل و التسوّيف.	**أخزر** = أنظر.	**قيدها** = سجلها.
الفيلاج: المدينة.	**هـــازط:** خائف جدا.	**أدحي** = أدفع.	
	التنـوتير: الكلام بغضب. **الضيم:** الظلم (الحقرة). **الدشرة** = القرية.	**يزهق** = يصرخ.	
		يـوزّد = يسقي الماء.	

2.2.2 العادات والتقاليد (القيم):

تعتبر العادات والتقاليد من أهم الضوابط التي تساهم في تكوين الحياة الاجتماعية لمجتمع معين ، وتشكيل سمات شخصيته الفردية والجمعية، وما يمكن أن يميزه عن باقي المجتمعات، حيث ترتبط بالحياة الاجتماعية واستمرارها، وتؤدي في كل مرحلة من مراحل الحياة وظيفة معينة. من أجل فهم الحياة بوضوح ، إذ يجب أن نحيط بالواقع الاجتماعي فهما حتى يتسنى لنا إدراك ماهيتها وسياقها الذي نشأت فيه، فعلى الرغم من تجديدها ، إلا أنها تحمل دائما خلفيات فريدة تنتمي إلى المجتمع وتميزه.

لقد عرف عرش أولاد نايل بالكرم و الجود و استقبال الضيف، كما عرف بسمو الأخلاق ورفعة الشأن و الغيرة على الشرف والأرض والوطن، ونجد ذلك مصورا في قصائد الشعر الشعبي فهو يعتبر "لسان حال الناس يعبّر عن العقل والوجدان."[20] وهذا ما نجده في القصيدة التي تبرز مآثر العرش وخصال أولاد نايل حيث يقول أحد الشعراء [21] :

قَرَّبْ يا من جيت قاصد مرسمنـا * وهذا بر أولاد نـائل رحب بيك**

من ذي الساعة راك كي واحد منا * يا مزين ذي الدار راها عمرت بيك**

إذا كانت عـــاجبتك جملتنا رانا * في مقام أهلك ومـــاليك**

ما يعقبش نهار راك توالفنـــا * وما تتوحش ما يضيق الحـــال عليك**

سعدك يا من جيت ماشي قاصدنا* تلقى الناس قلوبها مفتوحة ليك**

يتناول الشاعر صفة من الصفات التي اشتهر بها العرش وهي الكرم وحسن الضيافة، حيث يدعو ضيفه متفاخرا وفاتحا الأبواب لكل قاصد أو عابر سبيل، مبيّناً أن كرّم الضيافة متوارث عن الأجداد الذي تركوا تلك الخصال متوارثة من جيل إلى جيل مضيفا إلى ذلك تلك الأخلاق الجميلة والقيم الفاضلة ذكرا الأهم منها وهو " الحياء" فالحياء علامة تدل على ما في النفس من الخير، وهو شعبة من شعب الايمان، وقد حثّ عليه رسولنا الكريم وذكره في أحاديث عدّة، ليمر على قبور آبائه متذكرا فضائلهم وداعيا لهم بالرحمة ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

تميز المجتمع النايلي بعادات خصت جميع جوانب الحياة التي يعيشها بداية من الأسرة، وبطقوس الزواج (العرس) وبناء العائلة والبيت، والاحتفالات الدينية والموسمية المتعلقة بالحرث والحصاد والجز والتويزة واللّمة وزيارة الأولياء الصالحين، وغيرها من العادات التي ساهمت في تماسك النسيج الاجتماعي لهذا العرش، حيث نلاحظ في أغلب العادات أنها تعتمد على الجماعة والتشاور وقرب الأفراد من بعضهم البعض، وهذا يعكس قوة الرابطة التي تربطهم.

لقد بقيت القصيدة الشعبية شاهدة على هذا المجتمع، تحمل في نصوصها تراثا غنيا يفوح عطره عند كل قراءة حيث تشكل أبيات القصيدة فسيفساء ترسم صورة أصيلة للمجتمع، صورة نابعة من ثقافته وحاملة عنوانه.

3-موضوعات وأغراض القصيدة الشعبية:

تطرق شعراء القصيدة الشعبية في منطقة أولاد نايل للكثير من المواضيع في قصائدهم بحكم احتكاكهم بالمجتمع، وقربهم من مشاكله، بالإضافة لامتلاكهم لزاوية متفردة ينظرون بها إلى العالم المحيط بهم، حيث يساهمون بآرائهم و انتقاداتهم واقتراحاتهم، وفي هذا الشياق نجد الشاعر بلخيري محفوظ يقول عن فترة تغيرت فيها الأوضاع وأصبحت الأنانية منتشرة، حيث غلبت على الناس الانتهازية:

يا خوتي مول لعقل راه تعذب * وعاد يدور عالرفاقة[22] ما يلقاش**

شوفو يا لحباب للوقت تقلب * واتخبل[23] مول النباهة عقلو طاش[24]**

من يعرف ذا الجيل يبقى يستعجب * مول الغيرة عاد مركز للتهماش**

عادت كل الناس فالدنيا تطلب * كل آخر من جيهتو باني كيفاش**

الغني هزوه دار المال انسب * وابن الأصل يهمشوه بلا نقاش**

نجد الشاعر هنا متحسرا على الحال الذي آل إليه المجتمع من انتشار للأنانية وتهميش للفقراء وهي دلائل على المادية التي أصبح المجتمع يتعامل على أساسها، فيقف الشاعر مخاطباً أهله منتقدا وضعه محاولةً منه الرجوع بهم إلى فضائل الأخلاق، وداعيا إياهم إلى معاملة الناس بحسن على أساس الشخص لا المادة.

كما نجد الشاعر الحاج المختار شونان[25] يتناول القضية الوطنية في قصيدة سماها (الوئام) يتحدث فيها عن الوئام

المدني مادحا فيها الرئيس، ومشيدا بجهوده و صنيعه فيقول:

احفظ يا ربي السفينة تسّقم[26] * راها قرب اليابسة جانا تبشير**

كانت في محيط مايج يتلاطم * امواجو متقالبه[27] باریاح اكثير**

نقذوها ربان والرايس فاهم * فارس في عرض البحر مولى تدبير**

خرجها للشط بالحكمة عازم * راها خرجت سالمة بإذن القدير**

الشاعر في هذه القصيدة تناول المأساة الوطنية التي مرّت بها الجزائر طيلة فترة التسعينات، وما خلفته من دمار مادي ونفسي على الشعب الجزائري، مبرزاً فرحته بمشروع الوئام المدني الذي تبناه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة كسياسة، في محاولة منه لإصلاح الوضع، والرجوع بالبلاد التي شبهها الشاعر بالسفينة إلى الطريق الصحيح فكان متفائلا معبرا عن فرحه من خلال الأبيات التي أنشدها.

ونجد شعراء آخرين قد خاضوا في الغزل وقالوا فيه، وعبروا عن مشاعرهم وحبهم للمرأة وتعلقهم بالحبيبة فكانت تارة رمزا للأنس، وتارة رمزا للعذاب والمعاناة، لكن في جميع الحالات زينوا بها قصائدهم وباحوا بأسرارهم وعذاباتهم الناتجة عن نار الأشواق و الحب معبّرين عن أحاسيسهم، ومطلقين آهاتهم وهذا ما نجده عند الشاعر حميدة بولرباح[28] في قصيدته التي سماها " الهيفاء" حيث يقول فيها:

اغرام الهيفاء زاد لحساسي نمـّاه * علمني لشعار نكتب و اغناها**

علمني علم القوافي هي كيفاه * واطلاسم لنظام سهّل معناها**

إذا قلت صحيح محبوبي نهواه * ماني غالط يالخو هي تسواها**

إذا قيس اعشق ليلى عنها تفاه * ما طاقش[29] فراقها مات بداها[30]**

أو ماذا من عشاق فالكتب قريناه * كل واحد اوقصتو ذاق بلاها**

غــير أنا محبـوبتي مرفوعة لجـــاه * ما تجفيني مـا تغيّر لهواها**

و يقول أيضا في قصيدة غزلية بعنوان " زينب " يذكر فيها مآثر المرأة البدوية وصفاتها و ترفعها و شرفها فيقول:

يازينب سلك الذهب مقساك بحـب * من عشقك يا زايخه طال اعذابو**

نعت اغزالة شاردة غير اتلولـب[31]* حذرية ما تامن الوعل اتهابـوا**

ما تسكن بر القواشي[32] ما تقـرب * مفلاها بر الفيافي و اعلابــو[33]**

ماذا من صياد تبعها واتعــب * اوماذا من فرسان قصدوها خابوا**

يتناول الشاعر في هذه القصيدة اسم" زينب " كرمز للمرأة البدوية التي تميزها بشرفها وعفتها وحب ابتعادها عن أنظار الرجال وانقطاعها مشبها إياها بالغزالة الحرّة التي تحب الطبيعة المفتوحة، فهي كثيرة الحركة والنشاط لكثرة الأعمال

والانشغال، فقد كانت المرأة النايلية منذ القديم رمزاً للألفة و المودّة و الصبر والعطاء والوفاء فاستلهم منها الشعراء الجمال والقيم التي تشبعت بها قصائدهم في الغزل و المدح والوصف، وحتى البكاء عند الفراق، ولعلّ أكبر شاهد على ذلك هي قصيدة " حيزية " لابن قيطون، التي ذاع صيتها عند قرّاء الشعر.

وبين واقع الوطن وأحواله، وانتقاد الواقع، ووصف المرأة والتغزّل بها، يخرج شعراء آخرون ليتحدثوا عن مفارقة الحياة إلى الموت، وهو ما نجده عند الشاعر جلجلي جلول[34] حينما يلبس ثوب المريض المقبل على الموت ليصف حاله مودعا متحدثا عن معاناته وآلامه في قصيدته " شاب الرأس " يرثي نفسه فيقول:

شاب الراس وذرك تبياض اللحيـة * و يا قلبي ما تلانا في الصغر مقــام**

صغري كله ضاع من بين أيديا * وحتى كبري ذرك يمشي كالمنـام**

ما وجدت أعـوين[35] نديه معـايا * و لا سبقت عوين نلقاه القــدام**

إلى أن يقول:

في ركنة[36] مطروح و يرقـو فيا * ما نتحـرك ما نطيق نـرد أسـلام**

وسهـل ربي خفف الموت عليا * وأخرجت روحي من الصدر كخيط قيام**

خرجت روحي مشـات ما ترجع * ليا وأبقى جسدي ما يرد لحـد كــلام**

صبحـوا ناسي من فراقي بكايـا * وأنقلب حوشي[37] من الزُقَا[38] والحال غيام**

تحدث الشاعر في قصيدته عن سكرات الموت واصفا نفسه على فراشها، حيث تحدث عن نفسه وهو يستعد للرحيل ومغادرة الدنيا، ليأتي على ذكر موقف جليل نسيه الكثير من الناس، فكانت القصيدة تذكرة وعبرة تذكر بالآخرة، فقد تحدث فيها عن مراحل الوداع بادئا بألم الاحتضار، وبكاء الأهل على فراقه، ثم خروج الروح من الجسد، ليتم حمله و تغسيله و تكفينه، ثم نقله إلى المقبرة محيطا بتعابيره وواصفا المشهد الجنائزي، وكل ردود الفعل المعتادة التي تعلقت بمثل هذه الأحداث من حزن الأهل و الأصحاب، وحديث الناس، ليختم قصيدته بوصاياه لابنه البكر الذي كان رمزا لأقرانه من الشباب.

لقد تعددت المواضيع التي حملتها القصيدة الشعبية النائلية، واختلفت الأغراض من مدح وذم ورثاء مرورا بالفخر ثم الزهد دون اسقاط الغزل، فكان كل شاعر يغرد وينضح بما في جعبته مترجما شعوره و أحاسيسه وعلى قلّة النماذج التي أخذناها بالتحليل إلاّ أن الكثير منها مازال ينتظر التفاتة لدراسته و تحليله ومناقشة معطياته فقاموس الشعر عامر بالقصائد التي مازالت تصطف منتظرة دورها.

4-القصيدة الشعبية ودورها في حفظ التراث و التعريف بالثقافة:

يعكس التراث الشعبي أفكار المجتمع و اتجاهاته، وقد أسهم إسهاماً كبيراً في تطور الفنون، حيث تحوّلت الكثير من عناصره إلى أعمال فنية جميلة، فجعل تلك الأعمال دائمة الصلة بالموروث الذي يجسد التفاعل بين الإنسان وبيئته الطبيعية، و كذا التأثر والتأثير بين المجتمعات والثقافات، فكان أدباً إنسانياً يستلهم من ثقافة المجتمع ويستقي أفكاره منها.

يعتبر المجتمع النايلي من المجتمعات الأكثر تعلقا بالعادات والتقاليد، لما تحمله من طابع الألفة والاجتماع والتكافل سواءً على مستوى الأسرة بصفة خاصة، أو على مستوى أفراد المجتمع بصفة عامة، وتعتبر القصيدة الشعبية من أبرز ما يميز العادات الجزائرية حيث يجد فيها الإنسان متنفسًا لما تنشره من قيم ولما تعمل عليه من الإرشاد والتوجيه والنقد، فهي متجذّرة في عاداتهم منذ القديم، لذلك نجد الشاعر الشعبي يرسم صوره الشعرية انطلاقا من طبيعة الحياة التي يعيشها، و مرتبطًا بالثقافة المحلية التي تعتبر مكوّنًا هامًا في شخصية الإنسان.

الشعر الشعبي النايلي قريب من المجتمع، ومتأثر بثقافته ومؤثر فيها، فالشاعر يرسم لوحاته الشعرية على مقياس المحيط الذي يعيش فيه، مستخدما ما يميزه وما يجمله مستلهما منه، لرسم فسيفساء شعرية تعكس بين أبياتها صورا جميلة تلخص حياة مليئة بالأصالة، وربطها بحبل العادات والتقاليد التي هي عنوان كل مجتمع. وعادة ما نجد في القصيدة الشعبية النائلية وصفا كاملا لحياة أولاد نائل من عادات وتقاليد ونمط مميز في العيش توارثه الأجيال فخرا بالنسب و بالانتماء إلى هذا العرش حيث يبرز فيها الشاعر البنيان الذي قام عليه العرش النايلي باعثا في نصوصه الإبداعية روح شعب تقادم في صفحات التاريخ صانعا أمجاده بقصائدَ كُتبت سطورها بحروف لهجته الخاصة، ومميزاتٍ كانت عنوانا لتفرده طيلة وجوده.

إن من بين المميزات التي تميز القصيدة الشعبية النايلية هي ارتباطها الوثيق بالموروث الشعبي بتعدد مشاربه لغةً كانت أو طريقة في العيش أو رؤية للحياة، فنجد الشاعر دائما يغوص إلى عمق أصالته ليستلهم منها ما يوضح صورته الشعرية و يجعلها أكثر قربا للمتلقين، مراعيا بذلك جميع المستويات الفكرية، لتصل قصيدته إلى كل القلوب، وهذا ما أهّل القصيدة الشعبية لتكون بمثابة أرشيف يحتوي الأحداث التاريخية والمحافل الثقافية، ويجعل منها قاموسا للهجة مجتمع لم ترضى بالدخيل من المفردات وبقيت صامدة محافظة على رونق ألفاظها متحدية بأصالتها ومفتخرة بتميزها.

كاستنتاج لما سبق نجد أنّ التراث الشعبي يمثل غنيمة كبيرة من الآداب والقيم، والعادات والتقاليد والمعارف الثقافية، وهو ما تجسده العادات والتقاليد التي تتواتر بين الجيل والآخر نقلا ورواية اقتداءً بالسلف، و إحياءً لذكرى الآباء و الأجداد فهي ركيزة أساسية لبناء الشخصية التي يعتز بها كل إنسان مقابل إنسان آخر .

ومع تطور الحضارة وتغير الظروف على عكس ما كانت عليه من قبل نجد التراث الشعبي بكل أبعاده يكافح على

ألسنة أولئك الذين أرادوا إحياءه والحفاظ عليه لمواجهة الحضارة الحديثة التي بدأت تلتهم في طريقها جميع مؤشرات الأصالة التي ساهمت منذ فترة طويلة في تكوين الشخصية الإنسانية، ونتيجة لهذا الوضع ، تحاول الثقافة البدوية بجميع أشكالها الحفاظ على نمط حياة الماضي، والحرص على الحفاظ على التراث الأصيل، باعتبار أن هناك امتدادا للقيم الاجتماعية والثقافية من الماضي إلى الحاضر لذلك يجب الحفاظ عليها من خلال إحياء روحها وتجديد القراءات لنصوصها حتى يظل بريق أصالتنا وعنوان انتمائنا بارزا بشكل مشع، إعادة قراءة تراثنا الثقافي، والتفكير فيه بطريقة متجددة هو أحد الشروط الأساسية لتكوين فكرة دقيقة عنه، وعن أبرز معالمه وصفاته وهو أيضا سبب لتكوين وعي جديد بأنفسنا وهويتنا ومستقبلنا، وعلى هذا الأساس نبني قاعدة صلبة بعنوان الأصالة ثم نذهب بحثا عن الحداثة التي تعطي أصالتنا المزيد من الجمال والتألق.

قائمة المراجع:

1_ الميلود قويسم بن الهدار: موسوعة التحقيق المتكامل في (مناقب وقيم وتقاليد وتراث ونسب أولاد نايل) ومن جاورهم من العروش والرفق والقبائل، الطبعة التجريبية الأولى، ج3، الجلفة، الجزائر 2006.

2_ الديسي محمد بن عبد الرحمان: تحفة الأفاضل في نسب سيدي نائل، شرح و تعليق: عبد الكريم قذيفة، تلخيص: سعيد نعيمي، د.ط د.ت.

3_ إبراهيم عبد الحافظ: دراسات في الأدب الشعبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة مصر، 2013.

4_ رولان بارت : لذة النص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، 2002.

5_ سعيد يقطين : الكلام و الخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01 1997.

6_ عز الدين اسماعيل الشعر العربي – قضاياه و ظواهره الفنية المعنوية – ، دار الفكر العربي، بيروت لبنان 1981.

الهوامش:

1- الميلود قويسم بن الهدار: موسوعة التحقيق المتكامل في (مناقب وقيم وتقاليد وتراث ونسب أولاد نايل) ومن جاورهم من العروش والرفق والقبائل، الطبعة التجريبية الأولى ج3، الجلفة – الجزائر 2006، ص 03.

* صدرت طبعة ثانية من الموسوعة في نفس السنة بعنوان " التحقيق المتكامل في نبذة من مناقب وعادات وقيم وتراث أجداد العروش الأوائل" عن دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع – عمان الأردن.

2- المصدر السابق: ص 04.

3- الديسي محمد بن عبد الرحمان: تحفة الأفاضل في نسب سيدي نائل، شرح و تعليق: عبد الكريم قذيفة، تلخيص: سعيد نعيمي، د.ط، د.ت.

4- رولان بارت: لذة النص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، 2002، ص 14.

5 – سعيد يقطين : الكلام و الخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1997، ص: 15.

6- مباركي بلحاج: ولد سنة 1954 ببادية مسعد (الجلفة)، تلقّى تعليمه في كُتّاب بتقرت ، ثم بكتاتيب مدينة مسعد مارس التعليم الابتدائي ثم رُقّي مديراً بتوصية شخصية من مدير التربية لنشاطه الثقافي كشاعر بارز، مارس الشعر بنوعيه ملحوناً و فصيحاً منذ 1977 وتناول كل الأغراض ، كان ومازال مناضلاً بحزب : ج ت و ، شارك في ملتقيات عديدة (محلية وولائية و وطنية) ونال عدة شهادات وجوائز كشاعر .بعضاً من إنتاجه كتاب **(صور و خصائل من مجتمع أولاد نائل)** في طبعتين 2006 عن مديرية الثقافة و 2009 عن وزارة الثقافةوألوان و فنون من الفصيح والملحون) عن وزارة الثقافة 2009. له رصيد يناهز 40 قصيدة ملحوناً ، و20 قصيدة فصيحة .القصيدة قيلت سنة 1984 وحصلنا عليها من ديوانه " ألوان و فنون من الفصيح و الملحون ".

7- الشاعر بلخيري محفوظ من مواليد 1965م بمسعد ولاية الجلفة (الجزائر)، متحصل على شهادة ليسانس فيزياء عام 1989 م له ديوان مطبوع في الشعر الشعبي بعنوان: محاور الطلل بين الأسى والأمل.

8 – يقال بأن صاحب هذه قصيدة الشاعر : الدراجي من عرش أولاد امحمد المبارك العيساوي النائلي في احتفال أقيم بمنطقة الشعيبة قرب مدينة أولاد جلال حيث أقيمت اعتاد الشعراء في مثل هذه الاجتماعات قول الأشعار فخرا و إثباتا للنفس.

9 – نبالي: آلمني.

10- العطوي عبد القادر: شاعر من شعراء أولاد نايل، مولود سنة 1967 بأولاد سيدي زيان بلدية سيدي امحمد (عين الملح) ولاية المسيلة، والمعروف بابن شراب الواد، وهو معلم وشاعر ومهتم بالتراث الشعبي له حوالي 40 قصيدة شعبية حصد العديد من الجوائز.

11- ترّاس: رجل أو مرافق.

12- نغدى: من الغدو وهو الرجوع.

13- البرّ: المكان.

14- المراسم: الحدود و الأمكنة.

15- الظهرة: اتجاه الغرب.

16- الكانون: الموقد.

17- انظر: ملخص كتاب: تحفة الأفاضل في نسب سيدي نائل، ص: 07.

18- الصرعوفه: قطيع الغنم.

19- عز الدين اسماعيل الشعر العربي – قضاياه و ظواهره الفنية المعنوية – ، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، 1981، ص173.

20- إبراهيم عبد الحافظ: دراسات في الأدب الشعبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة – مصر، 2013م، ص8.

21- لم نتعرف على الشاعر الذي قال القصيدة فهي متداولة شفهيا.

22- الرفاقه : الأصدقاء.

23- اتخبل : اختلط.

24- طاش : ذهب.

25- شونان الحاج المختار : ولد سنة 1925 في ضواحي مدينة الجلفة ونشأ في باديتها ، درس الشاعر القرآن وحفظ منه النصف اذ كان ابواه معلم قرآن وفلاحا ، كان للشاعر نشاط سياسي منذ مرحلة شبابه الاولى فانخرط في حزب الشعب وهو ابن السادسة عشر سنة.

26- تسّقم : تعتدل.

27- متقالبه : متقلبة.

28- ولد الشاعر حميدة بولرباح بمدينة مسعد بتاريخ 1950 من عائلة بسيطة تلقى دروسه الأولى بالمدرسة الفرنسية الكائنة بمسعد آنذاك نال الشهادة الابتدائية والتحق بسلك التعليم الابتدائي سنة 1970 وبعدها ترقى الى سلك مديري المدارس الابتدائية مرورا بالمعهد التكنولوجي

بالمدية سنة1990، له مخطوط يحتوي على ما يقرب 60 قصيدة في كل مجالات الشعر الملحون شارك في عدة مهرجانات محلية وجهوية ونال عدة شهادات شرفية تحصل على الرتبة الثانية في المسابقة الولائية سنة1984.

29- ما طاقش: لم يحتمل.

30- بداها: بدائـها.

31- اتلولب: كثيرة المشي والتحرك.

32- القواشي: القوم (الناس)

33- اعلابو: جمع علب وهو المكان الخالي و المفتوح في البادية.

34- جلجلي جلول: شاعر من البيض، يشتغل مهندسا معماريا، هاجر إلى بريطانيا بسبب الظروف المعيشية، من بين أشهر قصائده " شاب الرأس" وقصيدة " الدشرة " التي انتقد فيها سكان بلدته.

35- أعوين: تصغير لكلمة معاون.

36- ركنة: زاوية البيت.

37- حوشي: بيتي.

38- الزُقّا: البكاء